بسم الله الرحمن الرحيم

شرح كتاب المحرر في الحديث

معالي الشيخ الدكتور

عبد الكريم بن عبد الله الخضير

عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

تاريخ المحاضرة:		المكان:	الطائف

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد،

فيقول المؤلف –رحمه الله تعالى–: "**عَن عبد الله بْنِ مَسْعُودٍ –رضي الله عنه– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم–: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، ومَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ ويَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وإِيَّاكُمْ والْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، ومَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ ويَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا»**".

وهذا الحديث المتفق عليه من رواية أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن غافل الهُزلي بن أم عبد الصحابي الجليل الذي قال عنه النبي –عليه الصلاة والسلام–: «**مَن أراد أن يَقرأَ القرآنَ غضًّا كما أُنْزِلَ، فليَقرأ بقراءةِ ابنِ أمِّ عبدٍ**». هذا ما قاله النبي –عليه الصلاة والسلام– في حقه، وقد تمادى بعض الظلمة الطُّغاة من الأمراء حتى قال: وددت أن أحك قراءة ابن أم عبد بضلع خنزير، نسأل الله العافية.

يقول عبد الله بْنِ مَسْعُودٍ –رضي الله عنه–: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم–: «**عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ**» إغراء، «**عَلَيْكُمْ**» يُغرينا النبي –عليه الصلاة والسلام– بلزوم الصدق، «**فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ**» الصدق: مطابقة القول للواقع، ويُقابله الكذب، وهو: مخالفة القول للواقع، ولا واسطة بينهما عند أهل السُّنَّة والجماعة، وأثبت المعتزلة واسطة، فقالوا كلامًا لا صدق ولا كذب، أثبتوا كلامًا لا يُوصَف بأنه صدق ولا كذب.

ما طابق الواقع صدق، وما خالف الواقع فهو الكذب، هذه هي الحقيقة اللغوية والشرعية والعرفية هذا هو الأصل، وقد تختلف الحقيقة أو قد يكون للفظ أكثر من حقيقة في الشرع، يكون للفظ الواحد أكثر من حقيقة شرعية كالإفلاس، الإفلاس حقيقته اللغوية والعرفية، وجاء في الشرع ما يدل عليها عدم الدرهم والمتاع، ما عنده شيء، يكون مفلسًا، وهذه حقيقته الشرعية في باب الحجر، قد يكون عنده شيء، لكن لا يفي بديونه فيكون مفلسًا، «**مَنْ وجدَ مالَهُ عِنْدَ رَجُلٍ قَدْ أَفْلَسَ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ**»، وهذه حقيقة شرعية، كما أنها حقيقة لغوية وعرفية.

النبي –عليه الصلاة والسلام– سأل الصحابة «**أَتَدْرُونَ مَنْ الْمُفْلِسُ؟**» قالوا: المفلس من لا درهم له ولا متاع، الجواب صحيح أم خطأ؟

صحيح، لكن في غير الباب الذي يُريد أن يتحدث عنه النبي –صلى الله عليه وسلم– صحيح في باب الفَلَس، في باب الحَجر والتفليس صحيح الجواب صحيح، يعني لو أن المُعلِّم وضع سؤالًا –

مُعلِّم الفقه- وضع سؤالًا، وهو يُدرِّس الطلاب المعاملات، وقال: عرِّف المُفلس أو اشرح قوله -عليه الصلاة والسلام-: «مَنْ وجدَ مالَهُ عِنْدَ رَجُلٍ قَدْ أَفْلَسَ»، فأجاب بجواب الصحابة فالجواب صحيح، لكن الرسول -عليه الصلاة والسلام- قال: «لا» لما قالوا: المفلِس من لا درهم له ولا متاع، قال: «لا» هل الجواب خطأ؟

نعم، في الباب الذي يُريد أن يتحدث عنه النبي -عليه الصلاة والسلام-، والحقيقة التي يُريد أن يُقررها الجواب خطأ، لكنه في بابٍ آخر الجواب صحيح، مما يدل على أنه قد يكون للفظ الواحد أكثر من حقيقة شرعية، قال: «لا، المُفلِس من يأتي بأعمال» في روايةٍ: «أمثال الجبال من صلاةٍ وصيام وحجٍّ وجهاد وبِر» إلى غير ذلك من الأعمال الصالحة، «ويأتي قد ضرب هذا، وشتم هذا، وسفك دم هذا، وأخذ مال هذا»، إلى غير ذلك من الجرائم المتعلقة بالمخلوق، «فيأخذ هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته أُخِذ من سيئاتهم وأُلقيت عليه فقُذِف في النار»، هذا هو المفلس، وهذا هو الفلس الحقيقي، كما أن الخسران والخسارة الحقيقية الخسارة التي تُودي بصاحبها إلى النار، {أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ} [الزمر:15].

الصدق: مطابقة الواقع، والكذب: مخالفة الواقع، قد يُذَم الصدق، ويُمدَح الكذب، يُذَم الصدق حينما تنقل كلامًا وأنت صادق في نقله من شخصٍ إلى آخر على جهة الإفساد، كلامك مطابق للواقع، تقول: إن فلانًا قال كذا، مما يترتب عليه ضرر، كلامك صحيح، لكنه هي النميمة، الصدق هنا ممدوح أم مذموم؟ مذموم، وهل هو الصدق الذي أغرى به النبي -عليه الصلاة والسلام-: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ»؟ لا، قد يُمدَح الكذب، وذلك حينما يكون للإصلاح، انظر الصدق لما كان للإفساد ذُمَّ، وإذا كان للإصلاح لما كان الكذب للإصلاح جاء مدحه.

القذفة إذا كانوا ثلاثة وكلهم قبل ذلك عدول ثقات شهدوا على شخصٍ بأنه زنى بامرأة ورأوه رؤيةً مُحققة بأعينهم كلامهم مطابق للواقع، فهو من حيث الحقيقة اللغوية والعرفية يُسمى صدقًا، لكن الحقيقة الشرعية {فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ} [النور:13].

هناك كلام مخالف للواقع، فهل يُمكَن أن يُوصَف بأنه كذب؟ المبالغة في الكلام فيها مخالفة للواقع، يقول النبي -عليه الصلاة والسلام-: «وَأَمَّا أبو جَهْمٍ فلا يَضَعُ عَصَاهُ عن عَاتِقِهِ»، هل الكلام مطابق للواقع مائة بالمائة؟ ما يضع عصاه أبدًا؟ هذا مخالف للواقع، لكنه صدق أم كذِب؟ صدق، مِن أصدق البشر ممن لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى.

أهل العلم ابتكروا أشياء فيها مخالفة للواقع مثل المناظرات، المناظرات المدونة في كُتب أهل العلم قد لا يكون لها حقيقة، يجرون مناظرات بين العلوم، قال: علم التفسير كذا، فيذكر فضائله ومزاياه، فقال: علم الحديث كذا -هذا موجود في كُتب أهل العلم- وقال: علم الفقه كذا إلى آخر

العلوم، هل هذا مطابق للواقع أو مخالف؟ يعني هل قال: علم التفسير أو قال: علم الحديث؟ لا، هذا في حد الكذب في حقيقته اللغوية والعرفية هل نستطيع أن نقول: صدق؟ لا.

المناظرات وقبله المبالغات والمقامات، المقامات مقامات الحريري، مقامات البديع، مقامات الزمخشري، مقامات السيوطي، حدَّث فلان بن فلانٍ قال، حدَّث الحارث بن همامٍ قال، مقامات الحريري كلها على لسان الحارث بن همام ولا فيه شخص اسمه الحارث بن همام ولا مُحدِّث ولا مُحدَّث، ابتكرها من عند نفسه؛ ولذلكم في آخرها رجا أن يخرج منها كفافًا لا له ولا عليه، وقد أبدع في مقاماته، وفيها ثروة لغوية مفيدةٌ جدًّا لطالب العلم، هل نقول: إن الحريري كذب، وقلنا: إن كذبه هذا يهديه إلى الفجور، وأن الفجور يهدي إلى النار، أو نقول: إن هذا لا يدخل في مثل هذا الحديث؟

الكذب، بل الصدق قبله من الصفات الحميدة التي جاء مدحها في نصوص الكتاب والسُّنَّة، ومما جاء فيها حديث الباب بالإغراء «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ» البر: التوسع في الخيرات، البر: الخيرات الواسعة، ومنه قيل: البَر؛ لسعته، ويُقال: فلان البَر؛ لتوسعه في فعل الخيرات.

وَرُدَّ لَـ كن قَـ الَ يَحيـ ـى البـ ـرُّ لَـ مْ يَفُـ ـتِ الخَمسـ ـةَ إلاَّ النـ ـزْرُ

يحيى البر النووي متوسع في فعل الخيرات- رحمنا الله وإياه-.

فالتوسع يُقال له: بَر وبِر، فالبَر لسعته، والبِر: التوسع في الخيرات.

فالصدق يهدي يُكافأ الإنسان على لزومه الصدق بأن تكثر خيراته، ويُوفَّق لفعل الخيرات، والبر يهدي إلى الجنة، يعني أمور يترتب بعضها على بعض.

لماذا ضُرِبت الذلة والمسكنة على بني إسرائيل؟

{ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} [البقرة:61]، تبدأ المسألة من الصغير إلى التدرج فيُعاقب بما هو أعظم منه، ثم يُعاقب بما هو أعظم، الذي قال: سبحان ربي الأسفل -نسأل الله العافية- هل هي أول كلمة قالها؟ هذا تساهل في كلامه، فقال كلمة لا يجوز له أن يقولها، ثم عُوقِب بما هو أشد منها، ثم عُوقِب إلى أن وصل إلى هذا الحد، والذي قال: ألا بذكر الله تزداد الذنوب، وتتطمس البصائر والقلوب، هل هذه أول كلمة قالها؟

لا، يتساهل في أول الأمر بكلامه، فيُعاقب بما هو أشد إلى أن يصل إلى هذا الحد، الإنسان يلزم الصدق يُهدى إلى فعل الخيرات، وفعل الخيرات تقوده إلى الجنات، وبالعكس الذي يكذب ويتحرى الكذب يقصده، ثم يكون سجيةً له يدله ويقوده كذبه إلى الفجور -نسأل الله العافية- ثم الفجور يقوده إلى النار، نسأل الله السلامة والعافية.

«عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، ومَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ»، يعني يستمر في جميع كلامه ملازمًا للصدق ويتحراه يقصده، يعني أنه لا يتكلم بكلام إلا بعد أن يتأكد أنه صدق يتحرى ويتأكد، فالإنسان مُحاسب على ما يقول وعلى ما ينطق به.

معاذ بن جبل قال للنبي -عليه الصلاة والسلام-: وإنَّا لمؤاخذون -يعني- على الكلام؟ قال: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ -أَوْ قال: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ- إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»، الإنسان عليه أن يتأكد ويتثبَّت، ومن لازم ذلك ألا يُكثِر الكلام؛ لأن من كثر كلامه كثر سقطه، وإذا طالت المجالس ولم تُستغل بما يُرضي الله -جلَّ وعلا- من ذِكره وشكره والثناء عليه ومُدارسة العلم وتلاوة كتابه لا بُد أن يكون للشيطان فيها نصيب، يعني هؤلاء الذين يجلسون في المتنزهات والاستراحات في الليالي الشاتية الطويلة من صلاة العشاء إلى قريب الفجر خمس ساعات، ست ساعات، ماذا يقضون بهذا الكلام هذا الوقت إذا لم يكونوا من أهل الذِّكر ومن أهل العلم ومن طلاب العلم؟

ولا تزين وتزدان المجالس عند كثيرٍ من الناس إلا بالقيل والقال، في بداية الأمر بالكلام المباح، ثم يقودهم ذلك إلى ما بعده من المكروه، ثم الحرام، وفضول الكلام من أعظم المداخل مداخل الشيطان إلى القلوب كفضول السمع، وفضول النظر، كما قرر ذلك ابن القيم في الجواب الكافي.

فليكن اللسان رطبًا بذكر الله، لهجًا بالتسبيح والتحميد والتهليل {وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ} [الأحزاب:35] «سَبَقَ المُفَرِّدُونَ»، وهم الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات.

والذكر لا يُكلف شيئًا، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، مائة مرة حُطت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر، مائة مرة لا تزيد على دقيقتين، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، غراس الجنة، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، يقول إبراهيم -عليه السلام- لنبينا -عليه أفضل الصلاة والسلام-: يا محمد أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة قيعان وغراسها التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير.

لا يُكلف شيئًا، لكنه الحرمان، التوفيق لا نهاية له، فإذا رضي بارك، وإذا حُرِم الإنسان -نسأل الله العافية- صعب عليه اليسير، من المحتضرين من يُقال له: قُل: لا إله إلا الله، ماذا أيسر من لا إله إلا الله؟ «وَمَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ من الدنيا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»، وهو يعقل ما يُقال له ويُدرك ويعرف النص، ومع ذلك لا يستطيع أن يقولها، لماذا؟ لأنه ما تعوَّد، ولا تعرف على الله في الرخاء، فحُرِم منها في الشدة.

أبو زُرعة الرازي الإمام المعروف لما حضرته الوفاة هابوا أن يُلقنوه، الإمام الكبير يُقال له: قُل: لا إله إلا الله! هابوا، فجاؤوا بحديث التلقين، وقدَّموا في إسناده وأخَّروا، فذكر الإسناد على الصواب، ثم ذكر المتن ففاضت روحه- رحمه الله-.

كلٌّ يموت على ما عاش عليه، فاحرص أن تموت على الذكر، يجلس الثُّلة من الناس يتجاذبون أطراف الحديث بالساعات، ولا يمر ذكر الله على ألسنتهم، هؤلاء قاموا عن مثل جيفة حمار، هؤلاء مجلسهم عليهم تِرى، يعني حسرة وندامة، لكن التوفيق بيد الله، نسأل الله الإعانة والتوفيق.

يعني إذا قلت: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيءٍ قدير، عشر مرات كنت كمن أعتق أربعةً من ولد إسماعيل، كأنك أعتقت أربعة من ولد إسماعيل، هل تحتاج هذه إلى دقيقة واحدة؟

دقيقة واحدة تقولها عشر مرات، وتقولها مائة مرة بعشر دقائق، انظر الفضل العظيم من الله -جلَّ وعلا- مائة درجة ومائة حسنة يحط عنك مائة خطيئة، وكنت كمن أعتق عشرة، وكانت حرزًا لك من الشيطان حتى تُمسي؛ لأن المجالس إذا ما استُغِلت بمثل هذا لا بُد أن تنحرف، الإنسان مجبول على الكلام، والأصل ألا يتكلم يصدق في كلامه، ويتحرى الصدق ما ينطق بكلمة حتى ينظر هل هي في كفة الحسنات أو في كفة السيئات.

الكيّس من دان نفسه حاسب نفسه، **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ} [الحشر:18]**، حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا يعني في أقوالكم وأفعالكم، وزِنوها قبل أن تُوزَنوا - كما قال عمر - وتعرَّضوا للعرض الأكبر على الله، وتأهَّبوا للعرض الأكبر على الله.

«عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ»، **«وإِيَّاكُمْ»** تحذير، **«وإِيَّاكُمْ والْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ»**.

«ومَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ ويَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا»، فعيل صيغة مبالغة بحيث يكون ملازمًا للصدق، والصديق مقرونٌ مع الأنبياء والصالحين، **{وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا} [النساء:69]**.

صديق صيغة مبالغة -خلينا نخرج قليلًا لاصطلاحِ علمي- الصدوق أيضًا صيغة مبالغة، وهذا مصطلح علمي عند أهل الحديث يُطلقونه على بعض الرواة ممن توسطت منزلتهم بين الثقات والضعفاء.

«وإِيَّاكُمْ والْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ»، نسأل الله العافية، **«ومَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ ويَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا»**، وقد صرَّح بعضهم من المتقدمين والمتأخرين بأنه حاول أن يصدق فلم يستطع -نسأل الله العافية-؛ لأنه عوَّد لسانه على الكذب، مع أن الشيطان صدق، وهو كذوب في حديث أبي هريرة في حفظ الصدقة قال: صدقك، وهو كذوب.

«فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ»، نسأل الله السلامة والعافية والثبات على دينه وطاعته حتى الممات.

والله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.